

تفسير أبي السعود

سورة الفرقان 41 43 .

لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الأخرى الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك بعدم النشور أى عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخرى ولا يرون نفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الإطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاق وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أى ما يتخذونك إلا مهزوءا به على معنى قصر معاملتهم معه A على اتخاذهم إياه A هزؤا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزؤا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزؤا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى من سورة الأنعام وقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا محمدا بعد قول مضر هو حال من فاعل يتخذونك أي يستهزئون بك قائلين أهذا الذي الخ والإشارة للإستحقار وإبراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته A مع كونهم في غاية النكير لبعثه A بطريق التهكم والاستهزاء وإلا لقالوا أبعث الله رسولا أو أهذا الذي يزعم أنه بعثه الله رسولا إن كاد إن مخففه من إن وضمير الشأن محذوف أي إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا أي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول إلى الإضلال لغاية ضلالهم بإدعاء أن عبادتها طريق سوى لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في أمثال هذا الكلام تجرى مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير إليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه A قد بلغ من الإجهاد في الدعوة إلى الحق وإظهار المعجزات وإقامة الحجج والبيانات إلى حيث شافوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروي أنه من قول أبي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبء عنه من نسبته A إلى الضلال في ضمن الإضلال أي سوف يعلمون البتة وإن تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من أضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم أرايت من اتخذ إلهه هواه تعجب لرسول الله A من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الأقوال